مكتبة الجيب للأطفال

بقلم كامل كيلاني

الجواد الطيار

obeikandl.com

obeikandl.com

أيها الطفل العزيز :

كُنْتُ أَجِدُكَ ـ قَبْلَ ظُهُورِ مَكْتَبَةِ الْأَطْفَالِ ـ حَائِراً تَتَلَمَّسُ كِتَاباً يُبْهِجُ نَفْسَكَ ، وَيُثَقِّفُ عَقْلَكَ ؛ فَلَا تَرَى بَيْنَ يَدَيْكَ إِلَّا مَا يُضْجِرُكَ ، وَيُبَغِّضُ الْقِرَاءَةَ إِلَيْكَ .

فَلَمَّا أَظْهَرْتُ لَكَ مَكْتَبَةَ الْأَطْفَالِ ـ جُزْءاً بَعْدَ جُزْءٍ ، وَكِتَاباً بَعْدَ كِتَابٍ ـ رَأَيْتُ مِنْ إِقْبَالِكَ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِمَّا قَدَّرْتُ ، وَوَجَدْتُ مِنْ شَغَفِكَ بِهَا

فَوْقَ مَا ظَنَنْتَ . وَإِذَا بِكَ قَدْ لَقِيتَ فِيهَا خَيْرَ سَمِيرٍ يُؤْنِسُكَ ، فَامْتَلَأَتْ بِالْبَهْجَةِ نَفْسُكَ .

عَلَى أَنِّى عَلِمْتُ أَنَّكَ تَضْجَرُ بِحَمْلِ تِلْكَ الْكُتُبِ ، حِينَ تَخْرُجُ لِلنُّزْهَةِ ؛ لِأَنَّهَا كَبِيرَةُ الْحَجْمِ ؛ فَلَا أَنْتَ رَاضٍ أَنْ تَحْمِلَهَا فِى حَافِظَةٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَثْقُلُ عَلَيْكَ ؛ وَلَا أَنْتَ رَاضٍ أَنْ تَحْمِلَهَا فِى يَدِكَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُعَرِّضُهَا لِلتَّلَفِ .

وَمِنْ حَقِّكَ عَلَىَّ أَنْ أُسَهِّلَ سَبِيلَ الْقِرَاءَةِ عَلَيْكَ ،

وَأُشَجِّعَكَ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ : وَأَنْ أُزِيلَ كُلَّ الْعَقَبَاتِ الَّتِي تُضَايِقُكَ ، حَتَّى تَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي أَسْعَى لِوُصُولِكَ إِلَيْهَا ، وَهِيَ أَنْ تُفْتَنَ بِالْكِتَابِ ، وَتَتَّخِذَهُ صَدِيقَكَ الْعَزِيزَ ، وَرَفِيقَكَ الْمَحْبُوبَ : فِي حِلِّكَ وَتِرْحَالِكَ .

فَلَا عَجَبَ إِذَا أَنْشَأْتُ لَكَ هٰذِهِ الْمَكْتَبَةَ الْجَدِيدَةَ ، الَّتِي تَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا فِي جَيْبِكَ ، حِينَ تَفْرُغُ مِنْ حِصَّةِ الدَّرْسِ ، أَوْ تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ :

فيسعدك أن تطالعها فى أثناء تجوالك فى فناء المدرسة ، أو فى تنزهك فى أى مكان حللت فيه .

وقد أردت أن تكون هذه المكتبة — من جميع نواحيها — سهلة ميسورة ؛ قريبة التناول ؛ لأنى أبغى أن أعينك على أن تكون — فى المستقبل — رجلا مثقفا ، هداه العلم ، وهذبته المعرفة ، لترتفع بذلك مكانتك ، وتنتفع بك أمتك .

وَإِنَّ أَبَوَيْكَ لَيَعْلَمَانِ — حَقَّ الْعِلْمِ — أَنَّنِي ،
حِينَ أُقَدِّمُ لَكَ هٰذِهِ الْمَكْتَبَةَ ، أُحَقِّقُ رَجَاءَهُمَا
فِيكَ ؛ وَأَبَوَاكَ لَا يَرْجُوَانِ لَكَ إِلَّا كُلَّ الْخَيْرِ ؛
وَاللهُ يُوَفِّقُنَا جَمِيعًا إِلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ؟

كامل كيلاني

obeikandl.com

الفصل الأول

١ — عين الدموع

لعلك تعجب من هذا العنوان — أيها الطفل العزيز — فإن عين الماء لا تتألف من الدموع قط.

ولكن القدماء الذين كانوا يعيشون فى بلاد اليونان — منذ آلاف السنين — كانوا يطلقون هذا الاسم على إحدى العيون الصافية التى تنبع فى سفح جبل صغير من جبال اليونان.

obeikandi.com

وَإِنَّمَا أَطْلَقُوا عَلَيْهَا ذٰلِكَ الْاِسْمَ ، لِأَنَّ بَعْضَ أَسَاطِيرِهِمْ قَدْ حَدَّثَتْهُمْ أَنَّ امْرَأَةً حَسْنَاءَ كَانَتْ جَالِسَةً فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ ، وَإِلَى جَانِبِهَا وَاحِدُهَا ؛ فَأَصَابَهُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الصَّيْدِ ، فَقُتِلَ مِنْ فَوْرِهِ .

وَزَعَمَتِ الْأُسْطُورَةُ أَنَّ تِلْكَ الْأُمَّ الْحَزِينَةَ جَزِعَتْ عَلَى وَلَدِهَا جَزَعًا لَا يُوصَفُ ؛ وَبَكَتْهُ لَيْلَ نَهَارٍ ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ دُمُوعُهَا الْغَزِيرَةُ : عَيْنَ مَاءٍ

صَافِيَةً . فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا سُكَّانُ تِلْكَ الْبِقَاعِ النَّائِيَةِ :

« عَيْنَ الدُّمُوعِ »

٢ — مُحَاوَرَةُ الْفَارِسِ

وَفِى ذَاتِ يَوْمٍ مَرَّ بِتِلْكَ الْعَيْنِ الصَّافِيَةِ، فَتًى مِنْ فِتْيَانِ الْيُونَانِ ؛ فَرَأَى — بِجِوَارِهَا — شَيْخًا يَزْرَعُ الْأَرْضَ ؛ وَرَأَى فَتَاةً تَمْلَأُ جَرَّتَهَا مَاءً ، وَإِلَى جَانِبِهَا طِفْلٌ صَغِيرٌ ، تَلُوحُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الشَّجَاعَةِ

فَاسْتَأْذَنَ ذَلِكَ الْفَتَى الْيُونَانِىُّ تِلْكَ الْفَتَاةَ فِى أَنْ

تَسْقِيهُ مِنْ جَرَّتِها ، فَأَذِنَتْ لَهُ : وَلَمَّا ارْتَوَى ، شَكَرَ لِلْفَتَاةِ صَنِيعَهَا ؛ ثُمَّ قَالَ لَهَا :

« مَا أَحْسَبُنِي شَرِبْتُ — طُولَ حَيَاتِي — مَاءً أَعْذَبَ مِنْ مَاءِ هٰذِهِ الْعَيْنِ الصَّافِيَةِ ؛ فَهَلْ تَذْكُرِينَ لِي اسْمَهَا ؟ »

فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْفَتَاةُ أُسْطُورَةَ هٰذِهِ الْعَيْنِ الصَّافِيَةِ ، الَّتِي قَصَصْتُهَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الطِّفْلُ الْعَزِيزُ ، وَذَكَرَتْ لَهُ اسْمَهَا الَّذِي حَدَّثْتُكَ بِهِ ، وَهُوَ :

« عَيْنُ الدُّمُوعِ »

فَدَهِشَ الْفَتَى لَمَّا سَمِعَ ، وَقَالَ لَهَا — مُتَعَجِّباً — :

« لَقَدْ وَصَلْتُ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ ، حَتَّى بَلَغْتُ هٰذِهِ الْعَيْنَ ؛ وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ فِي مَائِهَا تِلْكَ الْعُذُوبَةَ النَّادِرَةَ »

٣ — الْجَوَادُ الْمُجَنَّحُ

وَرَأَى الْفَلَّاحُ فِي يَدِ الْفَارِسِ زِمَامَ فَرَسٍ مُحَلًّى بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ ، وَهُوَ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ

الْوَهَّاجِ ، فَقَالَ لَهُ :

« لِمَاذَا تَحْمِلُ هَذَا الزِّمَامَ أَيُّهَا الْفَارِسُ الْفَتَى ؟

تُرَى : هَلْ فَقَدْتَ فَرَساً ، فَجِئْتَنَا بَاحِثاً عَنْهُ ؟ »

فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ :

« كَلَّا - يَاسَيِّدِى - مَافَقَدْتُ فَرَساً ، وَلَكِنَّنِى جِئْتُ بِلَادَكُمْ لِأَبْحَثَ عَنِ الْجَوَادِ الْمُجَنَّحِ ، فَقَدْ أَنْبَأَنِى الرُّوَاةُ الصَّادِقُونَ أَنَّهُ يَقْضِى جُلَّ وَقْتِهِ طَائِراً مُحَلِّقاً عَلَى قِمَّةِ هَذَا الْجَبَلِ الشَّامِخِ الْعَظِيمِ »

فعجب الفلاح من كلام ذلك الفارس ، وتركه يمنى نفسه بتحقيق أوهامه ، ويقضى عمره فى البحث عن المحال .

٤ — وصف الجواد

ولعلكم — أيها الأطفال الأعزاء — قد اشتقتم إلى سماع شىء عن ذلك الجواد العجيب ، وإنى مجيبكم إلى طلبتكم . فليس أشهى إلى نفسى من تحقيق ما تطلبون :

كَانَ ذَلِكَ الْجَوَادُ — فِيمَا حَدَّثَتْنَا الْأُسْطُورَةُ —

أَبْيَضَ اللَّوْنِ، فَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ : « الْأَشْهَبِ »

وَكَانَ ذَا جَنَاحَيْنِ ، فَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ : « الْمُجَنَّحِ »

وَكَانَ — إِلَى ذَلِكَ — يَسْبِقُ فِي طَيَرَانِهِ

الذُّسُورَ .

وَقَدْ عَاشَ سِنِينَ عِدَّةً فِي عُزْلَةٍ سَعِيدَةٍ ؛ بَعِيداً

عَنِ النَّاسِ ، يَنَامُ لَيْلَهُ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ ، وَيَقْضِي جُلَّ

نَهَارِهِ طَائِراً فِي أَجْوَازِ الْفَضَاءِ ، فَتَنْعَكِسُ أَشِعَّةُ

الشمس على جناحيه فينبعث منهما شعاع «فضي» يسحر الألباب.

٥ — في الصيف

ومتى حل فصل الصيف هبط الجواد المجنح إلى الأرض. وطوى جناحيه الفضيين. وأسلم قدميه للريح. وانطلق يعدو في السهول والوديان في مثل سرعة البرق الخاطف حتى يصل إلى «عين الدموع» التي ينبع منها نهر الدموع.

فيشرب حتى يرتوى، ويتمرغ على حشائشها الخضراء، وهو قرير العين بما يفعل، لا يكدر عليه صفوه أى مكدر.

ولكن الجواد المجنح كف عن هذه العادة منذ سنوات قلائل، فأصبح لا يزور تلك الأصقاع إلا نادراً جداً، ولم تقع عليه أعين الشباب والأحداث إلا مصادفة واتفاقاً.

٦ — حديث الفتاة

وقد سأل الفارس تلك الفتاة : « هل رأيت الأشهب المجنح ؟ »

فقالت له :

لا أذكر أنني رأيته أكثر من مرة واحدة طول حياتي، ولست واثقة مما رأيت ولا متثبتة مما بدا لعيني، وغاية ما أذكره أنني رأيت شيئاً يلوح في الفضاء مرتفعاً إلى السماء، وهو أشبه

شيء بطائر أبيض كبير . فقلت في نفسي : « لعله الأشهب المجنح الذي طالما سمعنا به . »

٧ — حديث الطفل

فالتفت الطفل إلى الفارس قائلاً :

« لقد رأيته مرات كثيرة في أوقات عدة ، وكان آخر ما لقيته يوم أمس . »

فقال الفارس للطفل :

« مرحى لك أيها الطفل الذكي ! ! فحدثني

— أيُّها العزيز — كيف لقيتهُ ؟ »

فأجابهُ الطِّفلُ — باسمًا — :

« لقد ألفتْ قدماىَ أنْ تسيرا إلى هذه العين ، وليس أحبَّ إلى نفسى من صنع سفن ومراكب من الورق، ووضعها فى ماء هذه العين ، والتمتع برؤيتها عائمة على سطح الماء . وكثيراً ما رأيتُ — فى أثناء اللعب — بريقَ ذلك الجواد المُجنَّح الذى تسألُ عنه ، ولطالما وددتُ لو هبطَ إلى

الْأَرْضِ.وَحَمَلَنِى عَلَى ظَهْرِهِ ، وَطَارَ بِى إِلَى الْقَمَرِ .

وَلَكِنَّنِى يَئِسْتُ مِنْ تَحْقِيقِ هٰذِهِ الْأُمْنِيَّةِ ، لِأَنَّنِى رَأَيْتُهُ يَطِيرُ إِذَا سَمِعَ مِنِّى أَقَلَّ صَوْتٍ، أَوْ لَاحَتْ مِنِّى أَدْنَى الْتِفَاتَةٍ إِلَيْهِ . »

فَشَكَرَ الْفَارِسُ لِلطِّفْلِ مَا أَفَادَ مِنْهُ ، وَأُعْجِبَ بِدِقَّةِ مُلَاحَظَتِهِ وَحُسْنِ انْتِبَاهِهِ ، ثُمَّ وَدَّعَهُ وَوَدَّعَ الْفَتَاةَ ، مَسْرُورًا بِمَا عَرَفَهُ مِنَ الْحَقَائِقِ النَّفِيسَةِ .

٨ — صبر الفارس

وَظَلَّ الْفَارِسُ — مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ — يَخْتَلِفُ إِلَى عَيْنِ الدُّمُوعِ ، وَيَقْضِي أَكْثَرَ يَوْمِهِ رَافِعاً عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ تَارَةً ، نَاظِراً إِلَى الْمَاءِ تَارَةً أُخْرَى ، آمِلاً أَنْ يَرَى الْجَوَادَ طَائِراً فِي الْجَوِّ ، أَوْ يَرَى صُورَتَهُ فِي الْمَاءِ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ بِهِ وَهُوَ لَا يَمَلُّ الِانْتِظَارَ ، وَلَا يَضْجَرُ مِمَّا هُوَ فِيهِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الصَّبْرَ

محمود العاقبة ، وأن درك العظائم ، والظفر بتحقيقها ، لا يتم إلا بالصبر .

وكان أهل القرية يسخرون منه كلما رأوه يمنى نفسه بدرك المحال ، ويحسبونه مخدوعاً يجرى وراء الأوهام .

٩ — الرفيق الأمين

وكان ذلك الطفل الشجاع الذكى ، الذى حدثتكم عنه ، يقضى أوقات فراغه ولهوه — فى

كُلَّ يوْمٍ — إلَى جَانبِ الْعيْنِ . ويهونُ علَى ذلكَ الْفَارسِ مهمتَه الشاقةَ . ويسليه . ويسرى عنْ نفْسه مَا يلْقَاهُ منْ عبثِ الْعابثينَ به وسُخْريةِ السَّاخرينَ منْهُ ، وكَانَ لَهُ هذَا الصبِيُّ — فى وحْدته — نعْمَ الرَّفيقُ الْأَمينُ .

الفصل الثانى

١ — أسئلة

أَرَاكُمْ تَعْجَبُونَ — أَيُّهَا الْأَطْفَالُ الْأَعِزَّاءُ — وَيَسْأَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً : «لِمَاذَا قَدَمَ ذٰلِكَ الْفَارِسُ إِلَى عَيْنِ الدُّمُوعِ ؟ وَلِمَاذَا يُكَبِّدُ نَفْسَهُ مَشَقَّةَ الْبَحْثِ عَنْ ذٰلِكَ الْجَوَادِ الْمُجَنَّحِ ، وَأَىَّ فَائِدَةٍ يَجْنِيهَا مِنْ وَرَائِهِ . »

أَلَيْسَ هٰذَا بَعْضَ مَا يَجُولُ بِخَوَاطِرِكُمْ - أَيُّهَا

الأعزاء؟ لستُ أشكُّ في ذلك، وإني مفسرٌ لكم ما غمض، وقاصٌ عليكم من أنباء هذه القصة ما يعجبكم ويبهج نفوسكم.

٢ — قصة التنين

كان بطلُ هذه القصة — أعني ذلك الفارس الذي شغلتكم بالحديث عنه — يعيشُ في بلدٍ من بلدان آسيا، وكان مشهوراً — بين قومه وعارفيه — بالقوة والشجاعة، معروفاً

بالانتصار فى كل موقعة ، والفوز على كل فارس من فرسان زمنه .

وفى ذات يوم ، ظهر بالقرب من موطنه تنين كبير ، أعنى ثعبانا هائل الجسم ، لم ير له أحد شبيها فى عظمه وضخامته وأذاه وشدة بأسه .

وكان الأهلون يطلقون على ذلك التنين اسم : «الأصلة» لقوته ، وكبر حجمه ، وبشاعة منظره .

وكان ذلك التنين الهائل يقذف اللهب

وَالسَّمّ مِنْ فِيهِ عَلَى كُلِّ دَانٍ وَبَعِيدٍ مِنَ النَّاسِ .
فَيُمِيتُهُمْ وَيُحَرِّقُ أَجْسَادَهُمْ فِي الْحَالِ .

٣ — وَصْفُ الأَصْلَةِ

وَكَانَ هٰذَا التِّنِّينُ الْهَائِلُ غَرِيبَ الشَّكْلِ ، لَا يُشْبِهُ أَيَّ ثُعْبَانٍ مِنْ ثَعَابِينِ الأَرْضِ الَّتِي نَسْمَعُ بِهَا أَوْ نَرَاهَا ، فَقَدْ كَانَ لَهُ ذَنَبُ ثُعْبَانٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْسٌ وَاحِدٌ ، بَلْ ثَلَاثَةُ رُءُوسٍ غَايَةٍ فِي الضَّخَامَةِ ، يَخْتَلِفُ شَكْلُ أَحَدِهَا عَنِ الآخَرِ

اخْتِلَافًا جَسِيمًا : فَأَوَّلُهَا رَأْسُ أَسَدٍ ، وَثَانِيهَا رَأْسُ مَاعِزَةٍ ، وَثَالِثُهَا رَأْسُ تِنِّينٍ .

وَكَانَ فِى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ هَذِهِ الرُّءُوسِ الثَّلَاثَةِ فَمٌ وَعَيْنَانِ وَأَنْفٌ .

وَكَانَ ذٰلِكَ التِّنِّينُ — الَّذِى يُسَمُّونَهُ الْأَصْلَةَ كَمَا حَدَّثْتُكُمْ — يُخْرِجُ السُّمَّ وَاللَّهَبَ مِنْ أُنُوفِهِ الثَّلَاثَةِ . وَيَقْذِفُ بِهِمَا إِلَى أَبْعَدِ مَدًى .

٤ — فى حضرة الملك

هذه — أيها الأطفال الأعزاء — هى قصة الأصلة ، وما أحدثه من الأضرار والأخطار فى ذلك البلد الوادع الأمين .

وقد فزع الملك مما سمعه من أنباء هذا التنين الهائل ، فاستدعى إليه بطل هذه القصة ، وكان الأهلون يطلقون عليه لقب : « فارس الفوارس »

وَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَىِ الْمَلِكِ ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ :

« لَقَدْ عَلِمْتَ — يَافَارِسَ الْفَوارِسِ — مَا أَحْدَثَهُ الْأَصَلَةُ مِنْ أَخْطَارٍ وَأَضْرَارٍ فِى هَذِهِ الْبِلَادِ الْوَادِعَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ ، وَلَيْسَ فِى الدُّنْيَا فَارِسٌ — عَدَاكَ — يَجْرُؤُ عَلَى مُنَازَلَةِ هَذَا الْعَدُوِّ اللَّدُودِ ، وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ ، وَإِنْقَاذِ الْأَهْلِينَ مِنْ مَصَائِبِهِ . فَمَاذَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟ »

فَقَالَ لَهُ فَارِسُ الْفَوارِسِ :

« الرَّأْيُ مَا يَرَاهُ مَوْلَايَ . وَسَأَكُونُ عِنْدَ ظَنِّ جَلَالَتِكَ بِي . وَلَا بُدَّ لِي مِنْ قَتْلِهِ أَوْ أَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . »

٥ — الزِّمَامُ الْمَسْحُورُ

وَخَرَجَ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » مِنْ حَضْرَةِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ صَمَّمَ عَلَى قَتْلِ الْأَصِلَةِ ، وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ حَيَاتَهُ .

وَلَكِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَرَأَى مِنَ الْمُحَالِ عَلَيْهِ

أَنْ يَلْقَى الْأَصِلَةَ رَاجِلاً غَيْرَ رَاكِبٍ. ثُمَّ أَطَالَ افْتِكَارَهُ وَتَقْدِيرَهُ؛ وَأَجَالَ نَظَرَهُ فِي وُجُوهِ الرَّأْيِ، فَأَيْقَنَ أَنَّ أَيَّ فَرَسٍ — بَالِغاً مَا بَلَغَ مِنَ الشَّجَاعَةِ — لَا يَجْرُؤُ عَلَى الدُّنُوِّ مِنَ الْأَصِلَةِ.

فَذَكَرَ الْجَوَادَ الْمُجَنَّحَ الَّذِي طَالَمَا تَحَدَّثَ عَنْهُ أَسْلَافُهُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ طَلِبَتُهُ، وَمُحَقِّقُ مَا رَبَّهُ.

وَذَكَرَ الْوَدِيعَةَ النَّفِيسَةَ الَّتِي وَرِثَهَا مِنْ أَبِيهِ — وَهِيَ زِمَامٌ مَسْحُورٌ مُحَلًّى بِالْأَحْجَارِ

الكريمة — فعرف أن ذلك الزمام هو مفتاح نجاحه فى مهمته الشاقة .

وكان هذا الزمام المسحور شديد التأثير فى الجياد ، فلا يلجم به فرس — مهما يكن ثائراً شديد الجموح — الا هدأ الفرس وذل لراكبه تذليلاً .

٦ — فى بلاد اليونان

فأيقن « فارس الفوارس » أن الأسباب

كُلُّهَا مُتَكَاتِفَةٌ عَلَى تَحْقِيقِ مَسْعَاهُ ، وَإِنْجَاحِ مُهِمَّته ، فَسَافَرَ - مِنْ فَوْرِه - إِلَى بِلَادِ الْيُونَانِ ، وَمَا زَالَ يَجِدُّ فِي سَيْرِه ، وَاصِلًا اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ — عِدَّةَ أَيَّامٍ — حَتَّى بَلَغَ عَيْنَ الدُّمُوعِ ؛ وَهُنَاكَ سَمِعَ - مِنَ الفَتَاةِ وَالطِّفْلِ - تِلْكَ الْأُسْطُورَةَ الْمُعْجِبَةَ الشَّائِقَةَ الَّتِي حَدَّثْتُكُمْ بِهَا .

وَقَدْ لَازَمَهُ ذَلِكَ الطِّفْلُ الشُّجَاعُ — كَمَا قُلْتُ لَكُمْ — زَمَنًا طَوِيلًا ، وَظَلَّ يُجَدِّدُ

مِنْ عَزِيمَتِه . وَيَقْوَى مِنْ أَمَلِه ، حَتَّى لَا يَتَسَرَّبَ الْيَأْسُ إِلَى نَفْسِه ، وَلَا يَدِبَّ إِلَيْهَا الضَّجَرُ ، فَتَبُوءَ بِالْخَيْبَةِ وَالْخِذْلَانِ .

الفصل الثالث

١ — الأمل بعد اليأس

طال انتظار «فارس الفوارس» وكاد ينفد صبره، فعول على أن يعود إلى بلده ليقاتل الأصلة راجلاً غير راكب، فأما كتب له النجاح والفوز، وإما لقي في سبيل غايته الهلاك والتلف.

وإنه ليفكر في ذلك مهموماً حزيناً، إذ

نبهه الطفل الذكى الى صورة مرتسمة فى الماء ،
وكانا جالسين حينئذ - كعادتهما - بالقرب
من عين الدموع .

فنظر « فارس الفوارس » إلى الماء ، فرأى
صورة هى أشبه شىء بصورة طائر يلوح على
ارتفاع شاهق فى الهواء . وقد انعكست أشعة
الشمس على جناحيه الفضيين ، فشع منهما
بريق أخاذ .

فَقَالَ لَهُ الطِّفْلُ — بِصَوْتٍ خَافِتٍ —:

« إِنَّ هِزَّةَ الْفَرَحِ لَتَنْتَظِمُ جِسْمِي كُلَّهُ — يَا سَيِّدِي — فَلَيْسَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي تَرَاهَا الآنَ إِلَّا صُورَةَ الْجَوَادِ الْمُجَنَّحِ الَّذِي رَكِبْتَ الْأَهْوَالَ فِي سَبِيلِ الْحُصُولِ عَلَيْهِ ، وَالْفَوْزِ بِهِ »

٢ — عَلَى الْأَعْشَابِ

دَهِشَ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » حِينَ رَأَى مَنْظَرَ الْجَوَادِ الرَّائِعَ ، وَهُوَ يُحَلِّقُ فِي أَجْوَازِ

الفضاء العالي . ويرسم في دوراته دوائر واسعة جدًا ، لا تلبث أن تضيق مساحتها كلما دنا من الأرض ، كما تفعل الحمائم وهي تحلق في الجو ، حين تهم بالنزول الى الأرض .

ولم يكد الجواد الأشهب المجنح يستقر على الأرض ، حتى ذهب إلى الماء ، فشرب منه ما شاء حتى ارتوى ، ثم أكل من زهرات البرسيم ما حلا له حتى شبع ، ثم انطلق يعدو

وَيَقْفِزُ عَلَى الْأَرْضِ ، شَأْنَ الْمَرِحِ الطَّرُوبِ .

ثُمَّ طَوَى الْجَوَادُ جَنَاحَيْهِ ، وَرَقَدَ لَحْظَةً يَسِيرَةً عَلَى الْعُشْبِ النَّدِيِّ الْأَخْضَرِ الْبَهِيجِ.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ انْقَلَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَرَفَعَ أَرْجُلَهُ الدَّقِيقَةَ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ تَمَرَّغَ زَمَنًا يَسِيرًا عَلَى تِلْكَ الْأَعْشَابِ النَّدِيَّةِ النَّاعِمَةِ .

وَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ الْحَبِيبَةِ إِلَى نَفْسِهِ ، حَتَّى مَدَّ قَائِمَتَيْهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ ، وَتَأَهَّبَ

لِلْوُقُوفِ .

٣ — ٱنْتِهَازُ الْفُرْصَة

وَكَانَ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » مُمْسِكًا بِيَدِ الطِّفْلِ ، وَقَدْ سَحَرَهُمَا ذَلِكَ الْمَنْظَرُ الْبَدِيعُ الْأَخَّاذُ ، وَهُمَا يَنْظُرَانِ إِلَى الْجَوَادِ الْمُجَنَّحِ ؛ مُخْتَبِئَيْنِ خَلْفَ الْأَعْشَابِ الْمُرْتَفِعَةِ ، فَقَالَ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » لِصَاحِبِهِ :

« مَا أَعْجَبَ هٰذَا الْفَرَسَ ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ — طُولَ

حياتي أجمل منه منظرا ، ولا أروع من عينيه الواسعتين ، وقد كاد اللهب ينبعث من خلالهما ... »

* * *

ولم يكد « فارس الفوارس » يرى الجواد المجنح متهيئاً للقيام ، حتى خشي أن تفلت منه تلك الفرصة الذهبية النادرة ، فلا تتاح له ثانية إلى الأبد

فأسرع إلى الجواد المجنح ، وخرج من بين

الْأَعْشَابِ — فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ — وَقَفَزَ إِلَى ظَهْرِهِ قَفْزَةً قَوِيَّةً جَرِيئَةً ، فَلَمْ يُخْطِئِ الْهَدَفَ ، وَلَمْ تَفْلِتْ مِنْهُ الْفُرْصَةُ .

٤ — هِيَاجُ الْجَوَادِ

وَلَمْ يَكَدْ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » يَسْتَقِرُّ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ الْمُجَنَّحِ ، حَتَّى شَعَرَ الْجَوَادُ بِرَاكِبِهِ ، فَاهْتَاجَ غَضَباً ، وَانْتَظَمَتِ الرِّعْشَةُ جِسْمَهُ مِنْ فَرْطِ الْغَيْظِ ، وَقَفَزَ عَلَى الْأَرْضِ قَفَزَاتٍ خَطِيرَةً

لِيَدُقَّ عُنُقَ هٰذَا الْجَرِيءِ الَّذِي اعْتَلَا ظَهْرَهُ .

ثُمَّ ارْتَفَعَ الْجَوَادُ طَائِراً حَتَّى بَلَغَ سَحَابَةً كَثِيفَةً عَالِيَةً ، ثُمَّ هَبَطَ فَجْأَةً — فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ — وَانْقَضَّ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا تَنْقَضُّ الصَّاعِقَةُ مِنِ ارْتِفَاعِ مِيلَيْنِ أَوْ يَزِيدُ ، ثُمَّ قَفَزَ مَرَّةً أُخْرَى وَطَارَ فِي الْجَوِّ مُسْرِعاً ، وَقَدْ جَعَلَ الْجَوَادُ ظَهْرَهُ إِلَى أَسْفَلَ ، وَقَدَمَيْهِ إِلَى أَعْلَا ، فَأَصْبَحَتْ قَدَمَا الْفَارِسِ مَوْضِعَ رَأْسِهِ ، وَصَارَ مُعَرَّضاً

لِلْهَلَاكِ فِى كُلِّ لَحْظَةٍ ، ثُمَّ لَوَى الْجَوَادُ رَقَبَتَهُ لِيَرَى وَجْهَ رَاكِبِهِ ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ تَقْذِفَانِ بِالشَّرَرِ ، وَقَدْ حَاوَلَ جُهْدَهُ أَنْ يَعَضَّهُ .

٥ — خُضُوعُ الثَّائِرِ

وَلَكِنَّ « فَارِسَ الْفَوَارِسِ » الَّذِى لَا يَهَابُ شَيْئًا ، وَلَا يَنْثَنِى أَمَامَ عَقَبَةٍ بَالِغَةً مَا بَلَغَتْ ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ أَيًّا كَانَ ، تَحَيَّنَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، فَوَضَعَ الشَّكِيمَةَ بَيْنَ فَكَّىِ الْجَوَادِ الْمُجْنَحِ ،

وما كاد يفعل حتى خضع الجواد له وتطامن، وذلل لراكبه تذليلاً.

وأصبح الجواد المجنح — في لحظة واحدة — أنيساً بعد وحشة، ساكناً بعد ثورة، متطامناً بعد جماح. ونظر «فارس الفوارس» الى الجواد المجنح فرآه ينظر إليه بعينين مبللتين بالدموع، بعد أن كانتا تقدحان ناراً، فربت عليه وتودد إليه جاهداً، فابتهج الجواد بما

رآه من عطف صاحبه . وأحس له حبا عميقاً . وأصبح يجد فيه الرفيق المؤنس ، والسيد البار الحبيب ، بعد أن كان يرى فيه العدو اللدود .

٦ — وفاء الجواد المجنح

وهكذا تغيرت الحال ، وأصبح الجواد المجنح — منذ تلك اللحظة — أوفى وفى لصاحبه « فارس الفوارس » ، وصار لا يطيق

فراقه . وقد كان منذ هنيهة يهم بدق عنقه على قمة الجبل العالى .

ولما استقر الجواد على ذروة الجبل الشاهق ، وقف ينتظر ترجل الفارس الصديق . فقفز « ابو الفوارس » عن ظهر الجواد إلى الأرض . وهو ممسك بزمامه المسحور .

ونظر « ابو الفوارس » إلى عينى ذلك الجواد الكريم ، فراعه ما ينبعث من خلالهما من

سِمَاتِ النُّبْلِ وَأَمَارَاتِ الْوَفَاءِ . فَرَبَتَ عَلَى ظَهْرِهِ مُتَوَدِّداً ، وَقَالَ لَهُ مُتَحَبِّباً :

« إِنِّي تَارِكٌ لَكَ حُرِّيَّةَ الْبَقَاءِ مَعِي أَوْ تَرْكِي — إِذَا شِئْتَ — فَلَيْسَ يَسُرُّنِي أَنْ أَصْحَبَكَ قَسْراً عَنْكَ » .

ثُمَّ رَفَعَ زِمَامَهُ الْمَسْحُورَ ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَ صَاحِبِهِ ، قَائِلاً لَهُ :

« افْعَلْ مَا بَدَا لَكَ ، أَيُّهَا الْجَوَادُ النَّبِيلُ ، فَأَمَّا

تَرَكْتَنِي إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ ، وَإِمَّا لَأَزَمْتَنِي طُولَ الْحَيَاةِ » .

فَلَمْ يَقِفِ الْجَوَادُ لَحْظَةً — بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَ سَرَاحَهُ — وَطَارَ — مِنْ فَوْرِهِ — فِي أَجْوَازِ الْفَضَاءِ حَتَّى غَابَ عَنْ نَاظِرِهِ .

فَأَيْقَنَ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » بِفِرَارِ الْجَوَادِ ، وَضَيَاعِ الْفُرْصَةِ مِنْهُ ، وَنَدِمَ عَلَى تَسَرُّعِهِ فِي حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ ، وَإِنَّهُ لَغَرِقٌ فِي نَدَمِهِ وَحُزْنِهِ ،

إذ رأى الجواد المجنح عائداً إليه وهو يسابق الريح في طيرانه ، حتى إذا دناه هبط إليه ، ووقف إلى جانبه وادعا هانئا .

فأيقن «فارس الفوارس» أن فراسته فيه ، لم تخطئ وعرف أن وفاء صاحبه ثابت لا يزول .

ولما جاء الليل نام الصديقان — جنباً إلى جنب — وهما سعيدان بهذه الصحبة ، وقد لف الفارس ذراعه حول رقبة الجواد ، ولم يعد يطيق فراقه بعد اليوم .

الفصل الرابع

١ — ذِكْرَيَاتُ الْوَطَنِ

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ سَعِيدَةً هَانِئَةً ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ أُلْفَةُ الصَّدِيقَيْنِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ، وَوَدَّ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » لَوْ قَضَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ نَاعِماً بِتِلْكَ الْحَيَاةِ الْوَادِعَةِ ، وَلَكِنَّ نِدَاءَ الْوَاجِبِ ، وَذِكْرَيَاتِ الْوَطَنِ ، وَاحْتِفَاظَهُ بِالْوَعْدِ الَّذِي أَخَذَ نَفْسَهُ بِإِنْجَازِهِ أَمَامَ مَلِيكِ بِلَادِهِ ، وَرَغْبَتُهُ

فى إنقاذ الأهلين من أذى الأصلة — كل ذلك ارغمه على اقتحام تلك المغامرة ، برًا بوطنه وارضاءً لضميره .

٢ — فى وادى التنين

وقد بات « فارس الفوارس » يحلم سواد ليله بتحقيق غايته ، حتى إذا طلع الفجر ، نهض ممتلئًا حماسة وثقة ، وربت على ظهر جواده ليوقظه ، ثم افطرا معًا ، وشربا من عين قريبة ،

ثُمَّ مَدَّ الْجَوَادُ رَقَبَتَهُ إِلَى صَاحِبِهِ لِيَضَعَ يَدَهُ عَلَى الزِّمَامِ ، وَتَقَلَّدَ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » عُدَّةَ الْحَرْبِ ، وَاعْتَلَى ظَهْرَ الْجَوَادِ ، وَأَدَارَ رَأْسَهُ صَوْبَ الشَّرْقِ ، فَطَارَ بِهِ يُسَابِقُ الرِّيحَ فِي طَيَرَانِهِ حَتَّى وَصَلَ بِهِ فِي ضُحَى الْيَوْمِ إِلَى وَادِي « الْأَصْلَةِ » — وَهُوَ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ — قَرِيبٌ مِنْ مَوْطِنِ « فَارِسِ الْفَوَارِسِ » .

فَأَشَارَ إِلَى جَوَادِهِ أَنْ يَهْبِطَ بِهِ وَادِي

التِّنِّين ، وَأَدْرَكَ الْجَوَادُ غَرَضَ سَيِّده ، فَهَبَطَ إِلَى سَحَابَة كَثِيفَة فَوْقَ قِمَّة الْجَبَل حَتَّى لَا يَفْطُنَ التِّنِّينُ إِلَى مَجِيئِهِمَا ، فَيُفْتَكَ بِهِمَا - عَلَى عَادَتِه - وَلَا يُبْقِيَ لَهُمَا عَلَى أَثَر .

٣ — آثَارُ التِّنِّين

وَنَظَرَ « فَارِسُ الْفَوَارِس » مِنْ عَالٍ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي ، فَرَأَى فِيهِ مَا يَحْزُنُ وَيُؤْلِمُ وَيُفْزِعُ ، وَيَمْلَأُ النَّفْسَ حَسْرَةً وَأَسًى : فَقَدْ

رَأَى أَطْلَالَ الدِّيَارِ الْخَرِبَةِ الَّتِى دَمَّرَهَا التِّنِّينُ الْهَائِلُ. وَعِظَامَ الدَّوَابِّ وَالْمَاشِيَةِ الَّتِى قَتَلَهَا وَحَرَقَ أَجْسَادَهَا، فَقَالَ «فَارِسُ الْفَوَارِسِ» فِى نَفْسِهِ: «مَا أَشُكُّ فِى أَنَّ هَذِهِ بَعْضُ آثَارِ الْأَصْلَةِ، فَكَيْفَ أَهْتَدِى إِلَى هَذَا التِّنِّينِ الشِّرِّيرِ؟»

وَفِيمَا هُوَ يُفَكِّرُ فِى هَذَا الْوَحْشِ الْمُفْتَرِسِ أَبْصَرَ ثَلَاثَةَ أَعْمِدَةٍ مِنَ الدُّخَانِ الْأَسْوَدِ ذَاهِبَةً فِى الْجَوِّ، حَتَّى إِذَا قَارَبَتْ قِمَّةَ الْجَبَلِ

امتزجت جميعاً، فأصبحت عموداً واحداً من الدخان القاتم .

٤ — فى غار الأصلة

فأدرك « فارس الفوارس » أن غار التنين قريب منه ، فأشار إلى جواده الذكى أن يهبط الوادى ، فعرف « المجنح » غرض صاحبه ، فهبط قليلاً قليلاً - فى حذر شديد - حتى أصبح على ارتفاع مترين من قاع الوادى الصخرى .

فرأى « فارس الفوارس » غار الأصلة أمامه، ونظر فاذا جسم فى مثل ضخامة الجبل ملفف بعضه على بعض، طيات فوق طيات، وأبصر ثلاثة رءوس. فاذا هو يرى: رأس ثعبان هائل، ورأس أسد كاشر، ورأس ماعزة شرسة مفزعة. وانعم « فارس الفوارس » نظره فى رءوس الأصلة الثلاثة. فرأى رأس الأسد، ورأس الماعزة نائمين،

وَرَأْسَ الثُّعبَانِ مُسْتَيْقِظًا يَدُورُ بِعَيْنَيْنِ مُلْتَهِبَتَيْنِ فِي مِثْلِ احْمِرَارِ الْجَمْرِ .

وَهَالَهُ أَنْ رَأَى أَعْمِدَةَ الدُّخَانِ الثَّلَاثَ السُّودَ مُتَصَاعِدَةً مِنْ أُنُوفِ تِلْكَ الرُّءُوسِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعًا .

وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ الْوَهْمُ أَنَّ فِي ذَلِكَ الْغَارِ ثَلَاثَةَ وُحُوشٍ هَائِلَةً ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْأَصْلَةُ .

٥ — رَأْسُ الْمَاعِزَةِ

وَحَمْحَمَ الْجَوَادُ الْمُجَنَّحُ صَاهِلًا ، فَانْدَفَعَ رَأْسُ

الثُّعْبَان — فى مثْل لَمْح الْبَصَر — إلى خَارِج الْغَار ومد فكيه الْهَائلين ليلْتَقم فريسته وهو يمزق الْهَوَاء — غَاضبًا — بذَيْله ورءوسه الثَّلَاثَة الْهَائلَة .

فَلَمْ يَنْخَلِع قَلْب « فَارِس الْفَوَارِس » لهَذَا الْمَنْظَر الْمفزع ، وَلَمْ تَخُنْه شَجَاعَته ورباطة جَأْشه ، بل اشْتَدَّ بَأْسه وضوعفت قُوَاه ، وَالْهبت حَمَاسَته ، فَصبر عَلَيْه ، وهمز جواده همزة خَفِيفَة ، وهو يَقُول لَه :

« أعنى — أيها الجواد الحبيب — على أداء واجبى الانسانى النبيل ، فقد آليت على نفسى أن أقتل هذا العدو الشرس أو أهلك دونه .

فانقض المجنح على الأصلة ، حتى اصبح على قيد ذراع منه ، فأهوى « فارس الفوارس » على عدوه بضربة مسددة قاتلة من سيفه ، ولم يكد يفعل حتى عاد به الجواد إلى الوراء — فى مثل لمح البصر — حتى يأمن شر عدوه الثائر

الْمُحْنَقَ الْمَغِيظَ .

ثُمَّ انْقَضَّ الْفَارِسُ بِفَرَسِهِ الشُّجَاعِ عَلَى عَدُوِّهِ اللَّدُودِ . فَلَمَّا دَانَاهُ عَرَفَ أَنَّهُ قَطَعَ رَأْسَ الْمَاعِزَةِ . فَامْتَلَأَتْ نَفْسُ الْفَارِسِ فَرَحًا وَثِقَةً وَحَمَاسَةً بِنَجَاحِ مَسْعَاهُ .

٦ — رَأْسُ الْأَسَدِ

وَلَكِنَّ قُوَّةَ الْأَصَلَةِ تَجَمَّعَتْ كُلُّهَا فِي رَأْسَيِ الْأَسَدِ وَالثُّعْبَانِ . وَاشْتَدَّتْ شَرَاسَةُ الْأَصَلَةِ .

وظل رأساه يقذفان اللهب. ويرميان بالنار إلى أبعد مدى .

واندفع المجنح بصاحبه فى انحراف شديد - كما فعل فى المرة السابقة - حتى إذا دانيا الأصلة عاجل الفارس أحد الرأسين بضربة مسددة من سيفه.

ثم طار الفرس براكبه ، ولم يسلما - فى هذه المرة - كما سلما فى سابقتها ، فقد لمس

فَكُّ الْأَصَلَة « فَارِسَ الْفَوَارِسِ » وَجَوَادَهُ ، فَمَزَّقَ كَتِفَ الْفَارِسِ ، وَأَصَابَ جَنَاحَ الْجَوَادِ إِصَابَةً خَفِيفَةً .

عَلَى أَنَّ « فَارِسَ الْفَوَارِسِ » قَطَعَ — فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ — رَأْسَ الْأَسَدِ ، كَمَا قَطَعَ — فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ — رَأْسَ الْمَاعِزَةِ .

٧ — رَأْسُ الثُّعْبَانِ

وَتَجَمَّعَتْ قُوَى الْأَصَلَةِ كُلِّهَا فِي رَأْسِ

الثُّعْبَان ، فَخَرَجَ مِنْهُ عَمُودٌ كَثِيفٌ مِنَ الدُّخَانِ الْأَسْوَدِ ، وَصَارَ يَقْذِفُ - مِنْ فِيهِ - سُيُولاً مِنَ اللَّهَبِ يَبْلُغُ طُولُهَا خَمْسمِائَةِ مِتْرٍ أَوْ يَزِيدُ .

وَرَأَى « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » أَمَامَهُ رَأْسَ الْأَصْلَةِ ، وَقَدْ تَلَظَّى فِي عَيْنَيْهِ اللَّهَبُ ، فَانْقَضَّ الْفَارِسُ عَلَيْهِ انْقِضَاضَ الصَّاعِقَةِ ، وَقَابَلَهُ عَدُوُّهُ اللَّدُودُ بِمِثْلِ مَا فَعَلَ ، فَأَلْقَى بِجِسْمِهِ الْهَائِلِ عَلَى الْفَرَسِ الْمُجَنَّحِ ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ ، فَارْتَفَعَ

الجَوَادُ فى أَعَالى الجَوِّ، حَتَّى أَصْبَحَ فى ارْتِفَاعٍ هَائِلٍ أَعْلَى مِنْ ذِرْوَةِ الجَبَلِ الشَّامِخِ ، وَلَكِنَّ التِّنِّينَ الجَبَّارَ ظَلَّ مُتَعَلِّقاً به .

• وَرَأَى « فَارِسُ الفَوَارِسِ » خَطَرَ عَدُوِّهِ اللَّدُودِ ، وَخَشِىَ أَنْ يُحْرِقَهُ التِّنِّينُ بِمَا يَقْذِفُهُ مِنَ اللَّهَبِ ، فَأَغْمَدَ سَيْفَهُ فى صَدْرِ التِّنِّينِ ، فَتَصَاعَدَتْ مِنْهُ النَّارُ المَخْزُونَةُ فى جَوْفِهِ ، وَأَحْرَقَتْ جِسْمَ التِّنِّينِ الهَائِلِ ، فَسَقَطَ مِنْ

أَعْلَى الْجَوَّ مَيِّتاً ، وَأَرَاحَ اللهُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ وَأَذَاهُ ، وَتَمَّ الْفَوْزُ لِفَارِسِ الْفَوَارِسِ ، فَانْحَنَى عَلَى جَوَادِهِ الْمُجَنَّحِ ، وَظَلَّ يُقَبِّلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، شَاكِراً لَهُ مَا أَسْدَى إِلَيْهِ مِنْ صَنِيعٍ ، وَقَالَ لَهُ :

« سَلِمْتَ أَيُّهَا الْجَوَادُ النَّبِيلُ ، فَلَوْلَاكَ لَمَا كُتِبَ لِيَ النَّصْرُ عَلَى هٰذَا الْعَدُوِّ الْهَائِلِ اللَّدُودِ . »

الفصل الخامس

١ — عودة المنتصر

ولَمَّا تَمَّ الفَوْزُ لفَارِسِ الفَوَارِسِ ، وكُتِبَ لَهُ النَّصْرُ المُبِينُ عَلَى عَدُوِّهِ الفَتَّاكِ ، حَمِدَ اللهَ — سُبْحَانَهُ — وأَثْنَى عَلَيْهِ ، لِمَا وَفَّقَهُ إِلَيْهِ مِنْ نَجَاحٍ ، ويَسَّرَهُ لَهُ مِنْ تَوْفِيقٍ .

ثُمَّ انْحَنَى « فَارِسُ الفَوَارِسِ » عَلَى جَوَادِهِ المُجَنَّحِ ، وقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ — مَرَّةً أُخْرَى — ودُمُوعُ

الفرح تسيل من مآقيه . وقال له وهو يربت عليه :

« أكرر شكرى لك أيها الفرس الأصيل على ما بذلت من جهد . ولن أنسى لك — ما حييت — هذا الصنيع النبيل . فلنعد إلى عين الدموع لنلق رفيقنا الكريم الذى كان له الفضل الأكبر فى اهتدائى إليك » .

٢ — اجتماع الشمل

ولم يكد « فارس الفوارس » يتم قوله ،

حَتَّى أَسْرَعَ بِهِ الْمُجَنِّحُ ، وَمَا زَالَ يَطِيرُ بِهِ
— وَهُوَ يُسَابِقُ الرِّيحَ فِى طَيَرَانِه — حَتَّى بَلَغَ
عَيْنَ الدُّمُوعِ ، وَثَمَّةَ رَأَى « فَارِسُ الْفَوَارِسِ »
صَاحِبَهُ الشَّيْخَ الزَّارِعَ مُتَّكِئاً عَلَى عَصَاهُ ،
وَإِلَى جَانِبِهِ فَتَاةٌ قَرَوِيَّةٌ تَجُرُّ بَقَرَتَهَا الظَّرِيفَةَ ،
وَحَانَتْ مِنْهُ الْتِفَاتَةٌ أُخْرَى ، فَرَأَى الْفَتَاةَ
— الَّتِى رَآهَا مِنْ قَبْلُ — تَقْتَرِبُ مِنَ الْعَيْنِ
لِتَمْلَأَ جَرَّتَهَا ، فَقَالَ لَهُمْ :

« أَيْنَ الْغُلَامُ الْكَرِيمُ الَّذِى كَانَ يَقْضِى مَعِى - فِى هٰذِهِ الْبُقْعَةِ - أَجْمَلَ السَّاعَاتِ الَّتِى عِشْتُهَا فِى حَيَاتِى ؟ أَعْنِى ذَلِكَ الْغُلَامَ الصَّادِقَ الْفِرَاسَةِ، الْبَارِعَ الْمُتَفَرِّدَ فِى فِطَانَتِهِ ؟ »

فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ الْغُلَامُ الذَّكِىُّ مُرَحِّبًا بِهِ ؛ وَقَالَ لَهُ - فِى لَهْجَةٍ كُلُّهَا حُنُوٌّ وَإِخْلَاصٌ - :

« هَأَنَذَا صَاحِبُكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ النَّبِيلُ ! . وَلَا أَزَالُ أَرْقُبُ عَوْدَتَكَ فَائِزًا عَلَى عَدُوِّكَ

خبرنى بربك : ألم تحرز النصر الباهر على خصمك العنيد ؟ ما أشك فى نجاحك وتوفيقك أيها الشجاع الحازم الجرىء ! أليس كذلك ؟ »

فقال له « فارس الفوارس » :

لقد تم لى النصر على عدوى بتوفيق الله وشجاعة هذا الجواد ، وصدق فراستك ، ولولا ذلك لما نجحت فى مسعاى ،

وَلَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقْتُلَ الْأَصِلَةَ، وَلَوْ كَانَ مَعِيَ فُرْسَانُ الْأَرْضِ أَجْمَعُونَ ! »

٣ — حُرِّيَّةُ الْمُجَنَّحِ

ثُمَّ رَفَعَ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » زِمَامَ فَرَسِهِ، وَقَالَ لَهُ — شَاكِراً —:

« الْآنَ أَرُدُّ إِلَيْكَ حُرِّيَّتَكَ، فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أُطِيقُ فِرَاقَكَ أَيُّهَا الْفَرَسُ النَّبِيلُ ! »

وَلَكِنَّ الْمُجَنَّحَ وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَتِفِ الْفَارِسِ ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْ مَكَانِهِ ، لِأَنَّهُ أَلِفَ عِشْرَتَهُ ، وَلَمْ يَعُدْ يَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِهِ .

فَقَالَ لَهُ « فَارِسُ الْفَوَارِسِ » — وَهُوَ يُدَاعِبُهُ وَيُمَاسِحُهُ — :

« أَلَفُ شُكْرٍ لَكَ عَلَى وَفَائِكَ النَّادِرِ الْعَجِيبِ ، فَلْنَذْهَبْ إِلَى مَلِيكِ الْبِلَادِ ، لِنُبَشِّرَهُ إِلَيْهِ بِنَبَأِ انْتِصَارِنَا عَلَى عَدُوِّهِ الْمُفْزِعِ الْمُرْهِبِ .

٤ — ابتهاج الأمين

ثم ودع « فارس الفوارس * ذلك الفتى، ووعده بالرجوع إليه بعد أيام.

ثم طار به المجنح ؛ وظل يمعن فى طيرانه حتى بلغ به أرض الوطن الحبيب إلى نفسه ؛ فأسرع « فارس الفوارس » إلى مليكه فأخبره بما كتب الله له من نجاح، ويسره له من توفيق.

وَلَا تَسَلْ عَنِ ٱبْتِهَاجِ ٱلْمَلِكِ بِمَا سَمِعَ ، وَفَرَحِ ٱلْأَهْلِينَ حِينَ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ ٱلتِّنِّينَ ٱلْخَبِيثَ قَدْ صَرَعَتْهُ يَدُ فَارِسِهِمُ ٱلْعَظِيمِ .

٥ — خَاتِمَةُ ٱلْقِصَّةِ

وَقَدْ خَلَّدَ ٱلنَّاسُ — مُنْذُ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ — ٱسْمَ فَارِسِ ٱلْفَوَارِسِ ، وَسَلَكُوهُ فِي عِدَادِ ٱلْأَبْطَالِ ٱلْمَاجِدِينَ ، وَأَصْبَحَ ٱسْمُهُ عَلَماً بَيْنَهُمْ ، وَصَارَتْ شَجَاعَتُهُ مَضْرِبَ ٱلْأَمْثَالِ .

وَلَمْ يَنْسَ الْأَهْلُونَ لِفَارِسِ الْفَوَارِسِ الْعَظِيمِ ذٰلِكَ الصَّنِيعَ الْجَلِيلَ ، كَمَا أَنَّ « فَارِسَ الْفَوَارِسِ » لَمْ يَنْسَ كَذٰلِكَ فَضْلَ ذٰلِكَ الْغُلَامِ وَالْفَرَسِ ، وَظَلَّ يَذْكُرُ لَهُمَا ذٰلِكَ الْوَفَاءَ طُولَ الْحَيَاةِ .

القصة التالية

بساط الريح

آراء فى مكتبة الأطفال

لقيت مكتبة الأطفال منذ ظهرت ترحيبا من طوائف رجال التربية والتعليم، وأئمة الثقافة، وكبار الأدباء والشعراء: لا فى مصر وحدها، بل فى الشرق القريب والبعيد أيضاً. كذلك لم يكتم حضرات المستشرقين تقديرهم لتلك المكتبة، واستفادتهم منها: فجرت بذلك أقلام الكثيرين منهم.

وقد ظهر منذ عام كتاب للأستاذ محمد صادق عنبر عنوانه «نقيب الأدباء ومنشئ الجيل» حوى كثيرا من آراء أئمة الفكر وقادة الرأى. وقد توج بحوثه القيمة ببحث تحليلى شائق لمعالى وزير المعارف محمد على علوبة باشا.

كذلك ظهر كتاب، للأستاذ عطية فهمى شاهين، عنوانه «مكتبة الأطفال وقصص الكيلانى» وفيه دراسة مستفيضة لمجموعات تلك المكتبة.

وظهر كتاب بالانكليزية للدكتور لبيب شحاته، وفيه ترجمة لبعض آراء كبار الشرقيين والمستشرقين فى هذه المكتبة وأثرها فى تربية شباب الجيل ورجال المستقبل.

ثم ظهرت حديثاً رسالة للأديب اللبنانى العالم الأستاذ أمين الغريب المحرر بالأهرام، عنوانها «النقش فى الحجر» وقد نوهت بتلك المكتبة وأظهرت مزيد الاعجاب بها وفرط الثقة بنفعها.

ولا يسع ناشر هذه القصص أن يثبت هنا كل ما جرت به أقلام

العظماء والزعماء فى تقدير مكتبة الأطفال والاشادة بمؤلفها ، ولكنه يكتفى بفقرات قصيرة من آراء نخبة من هؤلاء الأعلام :

***

« الأستاذ الكيلانى كعقرب الثوانى . قصير ولكنه سريع الخطى ، منتج يأتى بدقائق الأمور » شوقى

ومن ثم يشب الطفل وقد صحت له ملكته . وأشربت الفصحى فكرته » محمد على علوبة باشا

فلنحتفل أولا بالكيلانى المربى ، الذى عرف أن تربية النشء على أساس صحيح متين ، وخلق قويم كريم ، هى العامل الأمل لانهاض هذه الأمة ؛ فعكف يؤلف ويؤلف ، حتى أخرج لأفلاذ أكبادها طائفة من الكتب القيمة لم يسبقه اليها أديب ؛ ووجدنا بفضله ضالتنا وكنا نتخبط - من أجلها - فى حيرة » . ابرهيم دسوقى أباظه

«وفضل الاستاذ الكيلانى على الأحداث بكتبه وأحاديثه التى تنتقل على متن الأثير إلى أقصى البلدان العربية : فضل يهنأ به . ويغبط عليه » . عبدالرحمن شهبدر

فقد شاء المؤلف أن يكون محدثا . وأراد المحدث أن يكون مربيا وأحب المربى أن يكون أستاذ بيان . فكان لكل ماأراد . والتقى ثلاثتهم بين دفتين اثنتين لكتاب واحد . « صادق عنبر »

« ولئن صح يقينى لتكونن نسيج وحدك فى عالم التأليف للأطفال فى البلاد العربية قاطبة » كارلو نالينو

« أتيح لنا الاطلاع على كتبكم النفيسة . وهى مجموعة الكتب العربية التى أنشأتموها للأطفال . فبالأصالة عن نفسى . وبالنيابة عن إدارة معهد الدروس الشرقية فى الجامعة الأمريكية . ائذنوا لى :

أولا : أن أنهى اليكم أجزل الشكر وأطيب الحمد

ثانيا : أن أهنئكم بهذا العمل الفذ المتناهى فى الاعجاز . الذى قمتم به . باعدادكم هذه المجموعة من الكتب :

فقد بحثناها وأنعمنا الفكر فيها . فاذا هى نتيجة خطة مرسومة منظمة . نفذت باحكام تام - من ناحيتيها على السواء - ناحية موضوعاتها ومادتها . وناحية مظهرها وجاذبيتها . فهى فى الحق مجموعة فذة فى تفردها . ونحن ننتظر لها انتشاراً واسعا يعم الأقطار العربية الناطقة بالضاد . »

الدكتور ماكلانهن

ولقد كان من مظاهر نهضة مصر الأدبية الأخيرة إهداؤها إلى جيرانها تحفا كثيرة : فقد ضرب المصريون بسهم وافر فى كل علم وفن ولم يذهلوا عن حاجة الأطفال : فأنشأوا كتبا صغيرة متقنة مستوفية شرائط التسهيل والترغيب والافادة ونفحوا بها العالم العربى . . . . وصارت مدارس لبنان وسورية وفلسطين والعراق تغذى أطفالها بواكير العلم من مكتبة الأطفال الأنيقة التى سد بها حاجة الشرق أديب مصر الكبير الاستاذ كامل كيلانى « صاحب الثورة البيداجوجية الرشيدة فى عالم الأطفال » كما قال ذو السعادة محمد على علوبة باشا .

أمين الغريّب

« ولا يدرك ذلك جليا إلا من وقفوا على دقائق فن التربية والتعليم وعانوا تثقيف الأحداث كصديق الأستاذ الكيلانى »

الامير مصطفى الشهابى

فان الاستاذ الكيلانى أحرز قصب السبق فى تلك الناحية الخطيرة (أدب الطفولة) فمسح عن أمته عار إغفالها وعدم العناية بها .

ابراهيم حسن الموجى

فجاء عمل الاستاذ الكيلانى ساداً لفراغ لابد من التضافر على ملئه على ـ توالى الأيام ـ حتى تجد ناشئتنا بلال صداها من الوجهة القصصية .

محمد فريد وجدى

والأستاذ كامل كيلانى (معلم الشعب العربى) هو معلم طفولتنا أولا ومعلم رجولتنا ثانيا .

عبد الكريم جرمانوس

ولو لم يأت الاستاذ الكيلانى إلا هذا العمل ـ وله مؤلفات كثيرة تشهد له بعلو الكعب فى التصنيف ـ لكفاه فخراً وخلوداً . لأن الذين يثقفونه لا ينسجون إلا على منواله ولا يغترفون إلا من مورده ، ومع ذلك لا يمكنهم أن يقاربوه ويبقى الفضل والفخر للمبتدى على كل حال .

الأب انستاس مارى الكرملى

فهى تنقل الأطفال إلى العلم وتطبعهم ـ بارادتهم ـ عليه ، ثم تدارج إليه خطواتهم وتساير فيه ملكاتهم وتنشئهم على اللغة الفصحى .

احمد فهمى العمروسى بك

« وتمتاز تواليف الكيلانى بالبساطة فى التعبير ، والصحة فى الألفاظ ، والرقة فى التراكيب والدقة فى الأداء والسلاسة والسهولة مع اجتناب كل غريب وناب ، ومع توخى التدرج بالطفل ، هذا إلى الشكل الكامل حتى يؤمن الخطأ ، والاكثار من الصور الجميلة المغرية بالقراءة . » «ابرهيم عبد القادر المازنى»

« إن أكبر ما يملأ النفوس فرحاً وغبطة بهذه القصص التى يضعها أعيان البيان وفحوله أمثال الأستاذ « كامل الكيلانى » أن كل كلمة طيبة سرية توضع فى فم الناشىء الطفل ، هى إما لبنة فى بنية الوطنية والحرية ، أو مدد فى معسكر الفضيلة والآداب ، أو رقة فى عذبة اللسان العربى المبين ، وناهيك شىء لن يعدو أن يكون وطنية وحرية ، أو فضيلة وبيانا . » « حسن القاياتى»

« أما أن الكتاب مشوق للأطفال ، وسميرهم ، ومغريهم على الاستمتاع بقراءة قصصه بشغف وغرام ، فذلك لأنه موضوع بطريقة طريفة متمشية مع ميول الطفل وغرائزه ، فيشعر ـ حين يقرؤه ـ كأنه فى حديقة فيحاء ، ينتقل فيها من خميلة الى خميلة ، ويطير من فنن الى فنن . والطفل كالطائر يألف الأشجار الوارفة ويغرم بالجنى الدانى. « محمود أبو العيون »

وكل ماتنشره الأستاذ الكيلانى - حتى الساعة - خير نموذج لمكتبة الأطفال . سواء فى سرد القصص وفى طبعها وتجليدها وتحليتها بالصور الملونة داخلا وخارجا . فأنت إذا وضعتها إلى جانب أمثالها من الكتب الأجنبية لا تجد شيئا من الفرق ؟

« صحافى عجوز »

« الأستاذ كامل كيلانى روح سارية فى الحياة الأدبية ، وهو من رجال الأدب الذين بذلوا للأدب أنفسهم وجهودهم . حتى أثمروا فيه ثمراً بديعاً ، وقد أنتج الأستاذ نتاجا كريماً فى أدب الطفولة ، وهو أدق حلقات الأدب وأولاه بعناية الأدباء ، فجاء فيه بفن حسن جميل ، وهذه قصصه التى ساير فيها الأطفال فى أدوار طفولتهم تعد مشكاة ساطعة ، ونموذجا عالياً لتربية الذوق واللغة والخيال عند الأطفال . « عبد الله عفيفى »

وقع فى يدى هذا الكتاب ، وماشرعت أقرؤه - بفكر الأطفال - حتى ساقتنى أولى صفحاته الى أختها ، وهذه الى جارتها وتلك الى تاليتها وهكذا حتى أسلمتنى آخر صفحة الى الغلاف التالى للكتاب دون أن يكون بين الصحيفة وأختها فترة انقطاع ، وتلك هى مزية كتب الأطفال . « محمد الهراوى »

كتب المؤلف

مكتبة الاطفال

حكايات الأطفال

		ص
١	الدجاجة الصغيرة الحمراء	٥
٢	أم الشعر الذهبي	٥
٣	بدر البدور	٥
٤	العلبة المسحورة	٥

قصص فكاهية للأطفال

١	عمارة	١ر٥
٢	الأرنب الذكى	١ر٥
٣	عفاريت اللصوص	١ر٥
٤	نعمان	١ر٥
٥	العرندس	١ر٥
٦	أبو الحسن	١ر٥

قصص جديدة للأطفال

		ص
١	بابا عبد الله والدرويش	٣
٢	أبو صير وأبو قير	٣
٣	على بابا	٣
٤	عبدالله البرى وعبدالله البحرى	٣
٥	الملك عجيب	٣
٦	خسر وشاه	٣

قصص للأطفال

١	السندباد البحرى	٥
٢	علاء الدين	٥
٣	تاجر بغداد	٥
٤	روبنسن كروزو	٥

obeikandl.com

أساطير العالم للأطفال

		ص
١	الملك ميداس	٢ر٥
٢	فى بلاد العجائب	٢ر٥
٣	القصر الهندى	٢ر٥
٤	قصاص الاثر	٢ر٥
٥	بطل أتينا	٢ر٥
٦	الفيل الأبيض	٢ر٥

قصص شكسبير للأطفال

١	العاصفة	٣
٢	تاجر البندقية	٣
٣	يوليس قيصر	٣
٤	الملك لير	٣

قصص علمية للأطفال

١	النحلة العاملة	٦
٢	العنكب الحزين	٧

أشهر القصص للأطفال

رحلات جلفر

		ص
١	فى بلاد الأقزام	١٢
٢	فى بلاد العمالقة	
٣	الجزيرة الطيارة	
٤	الجياد الناطقة	

قصص عربية للأطفال

١	حى بن يقظان	٥

قصص تمثيلية

١	الملك النجار	٢

قصص جغرافية للأطفال

١	لفنجنستون	٦
٢	لفنجنستون وستانلى	٦

obeikandl.com

كتب للمؤلف

مكتبة الشباب

	ص
صور جديدة من الأدب العربى	٨
ملوك الطوائف ، ونظرات فى تاريخ الاسلام	١٥
روائع من قصص الغرب	١٠
نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى	١٠
مصارع الأعيان	٥
ديوان ابن الرومى (ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد)	٢٠
مختار القصص	٥
موازين النقد الأدبى	١
ذكريات الأقطار الشقيقة	٥
مصارع الخلفاء	٥
فن الكتابة ، أو : كيف ندرس فن الانشاء	٢
ديوان ابن زيدون	٢٠
مختارات كامل كيلانى	٥
أساطير ألف يوم	١٢
رسالة الغفران : الطبعة الثالثة فى أربعة أجزاء	

obeikandl.com

فهرست

	ص
مقدمة	٣

الفصل الاول

	ص		ص
عين الدموع	٨	حديث الفتاة	١٩
محاورة الفوارس	١٠	حديث الطفل	٢٠
الجواد المجنح	١٣	صبر الفوارس	٢٤
وصف الجواد	١٥	الرفيق الأمين	٢٥
فى الصيف	١٧		

الفصل الثانى

	ص		ص
أسئلة	٢٧	فى حضرة الملك	٣٢
قصة التنين	٢٨	الزمام المسحور	٣٤
وصف الأصلة	٣٠	فى بلاد اليونان	٣٦

obeikandl.com

الفصل الثالث

	ص		ص
الأمل بعد اليأس	٣٩	هياج الجواد	٤٧
على الأعشاب	٤١	خضوع الثائر	٤٩
انتهاز الفرصـــة	٤٤	وفاء الجواد المجنح	٥١

الفصل الرابع

	ص		ص
ذكريات الوطن	٥٧	رأس الماعزة	٦٤
فى وادى التنين	٥٨	رأس الأسد	٦٨
آثار التنين	٦٠	رأس الثعبان	٧١
فى غار الأصلة	٦٢		

الفصل الخامس

	ص		ص
عودة المنتصر	٧٦	ابتهاج الأهلين	٨٣
اجتماع الشمل	٧٧	خاتمة القصة	٨٤
حرية المجنح	٨١		

obeikandl.com